مدار الوطن
١٠١

رمضان
شهر الجود والقرآن

- جُود النبي ﷺ
- فوائد الجود
- حَال السلف مع القرآن في رمضان
- ما يُعرَف به قارئ القرآن

من كلام
الحافظ بن رجب الحنبلي

إعداد
القسم العلمي بمدار الوطن

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض-ص. ب ٣٣١٠-هاتف ٤٧٩٢٠٤٢-فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم... وبعد:

فهذه رسالة موجزة تتعلق بفضل الجود والإنفاق في شهر رمضان، وكيف كان النبي ﷺ جواداً في هذا الشهر وفي غيره، وتبين فوائد الإنفاق والصدقات في هذا الشهر الكريم.

* **وتبين أيضاً** أن رمضان هو شهر القرآن، فيه نزل، وفيه كان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن، فينبغي للعبد أن يكثر من تلاوته فيه ومن سماعه، وتبين أيضاً كيف كان حال السلف الصالح مع القرآن في شهر رمضان.

* **وقد اخترناها** من كتاب «**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**» للحافظ ابن رجب الحنبلي، وقد سميناها «**رمضان شهر الجود والقرآن**» نسأل الله تعالىٰ أن ينفع بها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* **عن ابن عباس** رضي الله عنهما، قال: «**كان النبي ﷺ أجودَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة**» [رواه البخاري ومسلم].

رمضان شهر الجود والإحسان

* **الجود هو سعة العطاء وكثرته**، والله تعالىٰ يوصف بالجود، وفي الأثر المشهور عن فضيل بن عياض، قال: «**إن الله تعالىٰ يقول كل ليلةٍ: أنا الجواد ومني الجود، أنا الكريم ومني الكرم**» فالله سبحانه وتعالىٰ أجود الأجودين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة، كشهر رمضان، وفيه أُنزل قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

جود النبي ﷺ

* **لما كان الله عز وجل** قد جَبَلَ نبيَّه ﷺ على أكمل الأخلاق وأشرفها، كما في حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إنما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق**» كان رسول الله ﷺ أجود الناس كلهم، وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذلِ العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالىٰ في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق؛ من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمُّل أثقالهم.

* **ولم يزل** ﷺ علىٰ هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: والله، لا يخزيك الله أبداً، إنك لَتَصِلُ الرحم، وتَقْرِي الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتُعينُ علىٰ نوائب الحق. ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة. وفي الصحيحين عن أنس، قال: «**كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس**»، وفي صحيح مسلم عنه قال: «**ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يُعطي عطاء مَن لا يخشى الفاقة**».

* **وكان جوده** ﷺ كُله لله عز وجل، وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال إما لفقيرٍ أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألَّف به علىٰ الإسلام من يقوىٰ الإسلام بإسلامه.

* **وكان** ﷺ يُؤثِر علىٰ نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرىٰ وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نارٌ، وربما ربط علىٰ بطنه الحجر من الجوع.

* **وكان جوده** ﷺ يتضاعف في شهر رمضان علىٰ غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضاً، فإن الله جبله علىٰ ما يُحبه من الأخلاق الكريمة، وكان علىٰ

ذلك من قبل البعثة، ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك؛ فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام، وهو أفضل الملائكة وأكرمهم، ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق.

* **وقد كان** هذا الكتاب لرسول الله ﷺ خُلقاً، بحيث يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حثَّ عليه، ويمتنع مما زجر عنه؛ فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله في هذا الشهر؛ لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام، وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم، الذي يحث على المكارم والجود.

* **وقد قال بعض الشعراء** يمتدح بعض الأجواد ولا يصلح أن يكون ذلك إلا لرسول الله ﷺ:

تعوَّد بَسْطَ الكفِّ حتى لو أنه ... ثناها لقبضٍ لم تُجبه أنامِلُه
تراه إذا ما جئته متهلِّلاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائلُه
هو البحر من أيّ النواحي أتيته ... فلُجَّته المعروف والجود ساحِلُه
ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتقِ اللهَ سائلُه

فوائد الجود

* وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:

* **منها:** شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه، فعن أنس مرفوعاً: «أفضل الصدقة صدقةٌ في رمضان» [رواه الترمذي].

* **ومنها:** إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهَّز غازياً فقد غزا، ومن خَلَفَهُ في أهله فقد غزا.

* **ومنها:** أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لاسيما في ليلة القدر. والله

تعالىٰ يرحم من عباده الرحماء، فمن جاد علىٰ عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل؛ والجزاء من جنس العمل.

* **ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة**، كما في حديث عليّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة غُرفاً يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**» قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن طيَّب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّى بالليل والناس نيام**» [رواه الترمذي وأحمد].

* **وهذه الخصال كلها** تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصيام، والقيام والصدقة، وطيب الكلام؛ فإنه يُنهىٰ فيه الصائم عن اللغو والرفث. والصيام والصلاة والصدقة توصِل صاحبها إلىٰ الله عز وجل؛ قال بعض السلف: **الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصيام يوصله إلى باب الملِك، والصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك.**

* **ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها**، وخصوصاً إن ضمَّ إلىٰ ذلك قيام الليل. فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الصيام جُنَّة**» [رواه البخاري ومسلم والنسائي]. وكان أبو الدرداء يقول: **صلُّوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوماً شديداً حرّه لحرِّ يوم النشور. تصدَّقوا بصدقة لشر يوم عسير.**

* **ومنها: أن الصيام لابد أن يقع فيه خلل ونقص**؛ وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفُّظ مما ينبغي التحفظ منه، وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي، ولهذا نُهي أن يقول الرجل: صُمت رمضان كله، أو قمته كله. فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث.

* **ومنها:** أن الصائم يَدَع طعامه وشرابه لله، فإذا أعان الصائمين على التقوِّي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله؛ وآثر بها، أو واسى منها. ولهذا يُشرع له تفطير الصُّوَّام معه إذا أفطر؛ لأن الطعام يكون محبوباً له حينئذ، فيواسي منه حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبِّه، ويكون في ذلك شكرٌ لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له، فإن هذه النعمة إنما عُرف قدرها عند المنع منها. وسئل بعض السلف: لِمَ شُرع الصيام؟ قال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع.

* **وجاء سائل** إلى الإمام أحمد، فدفع إليه رغيفين كان يُعدهما لفطره، ثم طوى وأصبح صائماً. وكان الحسن يُطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً، ويجلس يُروِّحهم وهم يأكلون. وكان ابن المبارك يُطعم إخوانه في السفر الألوانَ من الحلواء وغيرها وهو صائم. سلام الله على تلك الأرواح. رحمة الله على تلك الأشباح. لم يبق منهم إلا أخبار وآثار. كم بين من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار!.

رمضان شهر القرآن

* **شهر رمضان له خصوصية بالقرآن،** كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكما قال النبي ﷺ: «**نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأُنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**» [رواه أحمد]. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق: «**كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة**».

* **دل الحديث** على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

* **وفي حديث فاطمة** عليها السلام عن أبيها ﷺ «**أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين**» وفي حديث ابن عباس: «**أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً**» [رواهما البخاري ومسلم].

فدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبُّر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

* **وقد كان النبي** ﷺ **يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره**، وقد صلَّى معه حذيفة ليلة في رمضان، قال: فقرأ بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل. قال: فما صلَّى الركعتين حتى جاءه بلال فآذنه بالصلاة [رواه أحمد].

* **وكان عمر** قد أمر أُبيَّ بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر.

حال السلف مع القرآن في رمضان

* **كان بعض السلف** يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليالٍ، وبعضهم في كل سبعٍ؛ منهم قتادة، وبعضهم في كل عشر؛ منهم أبو رجاء العُطَارديّ.

* **وكان السلف** يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها؛ كان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في

رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث. وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة. وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة نحوه.

* **قال ابن عبدالحكم:** كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

* **وإنما ورد النهي** عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك. فأما في الأوقات المفضَّلة، كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة، كمكة ـ شرَّفها الله ـ لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان.

* **واعلم أن المؤمن** يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفَّى بحقوقهما، وصبر عليهما، وُفِّيَ أجره بغير حساب. قال كعب: ينادي يوم القيامة منادٍ: إن كل حارث يُعطى بحرثه ويُزاد غير أهل القرآن والصيام، يُعطون أجورهم بغير حساب، ويشفعان له أيضاً عند الله عز وجل.

الصيام والقرآن يشفعان للعبد

* **عن عبدالله بن عمرو،** عن النبي ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي ربِّ، منعته الطعام والشهوات بالنهار. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه، فيشفَّعان**» [رواه أحمد والطبراني].

* **فالصيام يشفع** لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة

كلها، سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام، والشراب، والنكاح ومقدماتها، أو لا يختص به كشهوة فضول الكلام المحرَّم، والنظر المحرم، والسماع المحرم، والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يا رب، منعته شهواته، فشفِّعني فيه. فهذا لمن حفظ صيامه، ومنعه من شهواته. **فأما** من ضيَّع صيامه ولم يمنعه مما حرَّمه الله عليه فإنه جدير أن يُضرب به وجه صاحبه؛ ويقول له: ضيَّعك الله كما ضيَّعتني.

* **وكذلك القرآن** إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل، فإن من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له، وقد ذكر النبي ﷺ رجلاً، فقال: «**ذاك لا يتوسَّد القرآن**» [رواه أحمد]. يعني: لا ينام عليه فيصير له كالوسادة.

ما يُعرف به قارئ القرآن

* **قال ابن مسعود:** ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نيامون، وبنهاره إذا الناس يُفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبوَرَعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون.

* **وقال محمد بن كعب:** كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه. يشير إلى سهره وطول تهجُّده.

* **وأنشد ذو النون:**

منعَ القرآنُ بوعده ووعيده ... مُقَلَ العيون بليلها لا تهجعُ

فهموا عن الملِك العظيم كلامه ... فهماً تذلُّ له الرِّقابُ وتخضعُ

* **فأما من** كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، فإنه ينتصب القرآن خصماً له، يطالبه بحقوقه التي ضيَّعها.

النبي ﷺ رأى في منامه رجلاً مستلقياً على قفاه، ورجل قائم بيده فِهْرٌ أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فَيتدَهْدَهُ الحجر، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسُه كما كان، فيصنع به مثل ذلك، فسأل عنه، فقيل له: هذا رجل آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل به بالنهار، فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة».

* **ويؤتى بالرجل** الصالح كان قد حمله وحفظ أمره، فيتمثَّل خصماً دونه، فيقول: يا رب، حمَّلته إياي فخير حامل؛ حفظ حدودي، وعمل بفرائضي، واجتنب معصيتي، واتبع طاعتي. فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذ بيده، فما يرسله حتى يُلبِسه حُلَّة الإستبرق، ويعقد عليه تاج المُلْكِ، ويسقيه كأس الخمر.

* **يا من ضيَّع عُمره** في غير الطاعة! يا من فرَّط في شهره، بل في دهره وأضاعه! يا من بضاعتُه التسويف والتفريط، وبئست البضاعة! يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمَك الشفاعة؟!

* **عباد الله:** أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة، وإذا تُليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار؟ أَفَما لنا فيهم أسوة؟!

يا نفسُ فاز الصالحون بالتُّقَى ... وأبصروا الحقَّ وقلبي قد عمِي
يا حُسنهم والليل قد جنَّهم ... ونورُهم يفوق نور الأنجُمِ
ترنَّموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنُّمِ
ويحكِ يا نفسُ ألا تيقَّظ ... ينفع قبل أن تزلَّ قدمِي
مضى الزمان في توانٍ وهوى ... فاستدركي ما قد بقي واغتنمِي

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

تجدون المزيد على موقع المطويّات الإسلاميّة : www.matwiat.com